المبحث الثاني

مولد المسيح عليه السلام ونشأته:

يقول لوقا في إنجيله، الفصل الأوَّل والثَّاني ما معناه:

بعد أن تلقت مريم البشـــارة من المـــلاك جبرائيل، وقامت بزيارة نســـيبتها اليصابات زوج زكريا، عادت بعد ثلاثة أشـــهر من الزِّيارة إلى بيتها في الجليـــل. ثمَّ بعد تلك الأيام صدر أمر (أغسطس قيصر) بإجراء إحصاء عام للسُّكان في الإمبراطورية، وترتَّب على ذلك وجوب التحاق كلِّ مواطنٍ بموطنه الأصلي.

وحيث إنَّ مريم في عرف المجتمع اليهودي امرأة ليوسف النَّجار، ويوسف من بيت لحم اليهودية، فإنَّهما ذهبا إلى هناك ليكتتبا. وكانت مريم حُبلى. وفي بيت لحم ولدت ابنها يسوع. واختتن في اليوم الثَّامن من ميلاده.

وبحسب ناموس موسى، ذهبا به بعد التَّطهير إلى أورشليم ليقدِّماه للرَّب، بوصفه المولود البكر. وقرَّبا باسمه قرباناً للهيكل بهذه المناسبة. عادا بعده بالصَّبي إلى النَّاصرة في الجليل.

وعندما بلغ الثَّانية عشرة من عمره حضر عيد الفِصح اليهودي مع أمِّه وزوجها في أورشليم (لأنَّه في هذه السِّنِّ كيهودي يُعتبر ابن النَّاموس ويتحمَّل تكاليف الدِّين، وله حضور الأعياد والمحافل)[1].

وفي العودة من أورشليم إلى النَّاصرة في الجليل تخلَّف عنهما في الهيكل، فيوسف يظنُّه مع أمه ومريم تظنه مع يوسف. ومن الطريق بعد أن اكتشفا أمر تغيبه، عادا ثانية إلى أورشليم يبحثان عنه، ولم يجداه إلا بعد ثلاثة أيام كان خلالها في الهيكل يسمع ويسأل المعلِّمين. ثمَّ بعد ذلك بزمنٍ يصل إلى بضع عشرة سنةً قضاها المسيح نجَّاراً بعد موت زوج أمِّه، ذهب إلى يوحنا المعمدان في الأردن؛ ليعتمد منه.

ثمَّ بعد المعمودية تعرَّض لتجربةٍ مع إبليس اللَّعين، استغرقت أربعين يوماً، كان المسيح فيها صائماً. انتهت برفضه البات لكلِّ اقتراحٍ قدَّمه إبليس (فسلم من تلك القوات الشَّيطانية الهائلة الَّتي حاولت تجربته، وتضليله، والحيدة به عن خطّ

(١) راجع كتاب مع المسيح في الأناجيل الأربعة، لفتحي عثمان، ط٢، الدَّار القومية للطباعة والنَّشر، ص ٢٨.

سيره. وتلك التَّجربة كانت أزمةً خطيرةً شديدةً في حياة يسوع، أزمة روحية هائلة[1].

ثـــمَّ بعد أن بلغ الثَّلاثين من عمـــره علم أنَّ يحيى قد أودعه (هيرودس) الملك اليهودي السِّـــجن، بســـبب اعتراضه عليه بعدم صحَّة زواجه مـــن امرأة أخيه، وهي لـــم تزل في عصمة الأول. عندها بدأ المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام دعوته مستقلاً.

هذا ما جاء في الإنجيل عن ميلاد المســـيح ونشأته، فماذا نجد في القرآن الكريم؟.

قال تعالى بعـــد أن قصَّ علينا بشـــارة الملائكة لمريم من ربِّها، وما تبـــع ذلك من محاورة بين مريـــم والملك ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ

(١) راجع كتاب حياة يسوع تأليف بترسون سميث ص ٥٥.

فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٢٢-٣٣].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران: ٤٨].

هذا ما جاء عن مولد المسيح عليه السلام ونشأته في كلٍّ من الإنجيل والقرآن الكريم، وعند الإمعان في النَّصين نلاحظ الفوارق الآتية:

لقد تطرَّق الإنجيل إلى بعض التَّفاصيل عن مولد ونشأة المسيح عليه السلام بشيءٍ من السَّلبية، فقد اهتمَّ بالحديث عن الزَّمان والمكان الَّذي نشأ فيه، وذكر بعض مراحل حياته كأيِّ طفلٍ يهوديٍ آخر يقوم ذووه بتنشئته نشأة دينية يهودية. فذكر ذهابه مع أهله إلى أورشليم، حيث الهيكل ليقدِّماه للرَّب، ويقدِّما باسمه قرباناً. ثمَّ هو يذهب بعد أن بلغ الثَّانية عشرة من عمره إلى أورشليم مرَّة أخرى؛ لحضور عيد الفصح اليهودي. واعتبر الإنجيل تخلُّفه في الهيكل بعد ذلك يسمع ويسأل المعلِّمين

معجــزةً له تدلُّ على نبوغه المبكِّر. وهو بذلك يشــير إلى تأثُّر المســيح في صغره بكهنة اليهود، وأنَّهم كانوا يُسْــمِعُونَه من التَّعاليم ماكان له الأثر في مستقبل حياته.

ذكر الإنجيل ذلك كله، وأغفل الحديث عن معجزة حمله، ومعجزة حديثه وهو في المهد صبيّــاً، وقوله: إنَّه عبدالله، آتاه الإنجيل كتاباً ســماويّاً فيه هدًى ونور لبني إســرائيل، وأوصاه بالصَّلاة والزَّكاة مدَّة حياته على الأرض، ومبشِّراً بنبيٍّ يأتي من بعده اسمه أحمد.

ومن الغريــب أنَّ بعض الأناجيل الَّتــي يعتبرها النَّصارى بعد مؤتمر (نيقيــة) أناجيل منحولة، نجدها تحدَّثت عن مولد المســيح ونشــأته عليه السلام بما يوافق في الجملة ما جاء في القرآن الكريم،كإنجيل (برنابا). ما يُشــعر بأنَّ الأســاس الّذي اعتمد لاختيــار الأناجيل الأربعة من بين ما يقرب من تســعة عشــر إنجيــلاً كان يرتكز على الهوى، وممزوجــاً بكيد اليهود، وما يضمرونه من عداء ســافرٍ ضــدَّ كلِّ شــريعةٍ لا توافق هواهم وطباعهم الشِّريرة.

وجاء في الإنجيل العبارة الآتية: (وأَنتِ سيجوز سيفٌ في نفسِك...)[1].

هذه العبارة قالها سمعون اليهودي لمريم ابنة عمران عندما ذهبت بالمسيح إلى الهيكل في أورشـــليم لتقدِّمه للرَّب. وقد علَّق عليها صاحب الحواشي بقوله:

(سيجوز ســـيف في نفسك، من شدَّة ما يُصِيبُكِ من الحزن والألم، حين يُصلب ابنكِ وإِلهكِ بينَ يَدَيْكِ[2]).

في القول دليلٌ على المدى البعيد الَّذي ذهب إليه كثيرٌ من الشُّراح النَّصارى الَّذين تأثَّروا بالقول بألوهية المسيح الَّذي قال به بعض من اعتنق النَّصرانية من اليهود ليفســـدها، ويُلبِّس على النَّاس دينهم، إنَّه مَدَى اتَّسم بالخبث وسوء الطَّوية، ودليلٌ على ما أصاب كتب النَّصارى بما فيها الأناجيل من تحريفٍ.

فالقول: إنَّ المســـيح عليه السلام إلهٌ لوالدتـــه مريم أو لغيرها قولٌ فاســـدٌ وادِّعاءٌ باطلٌ، وعاملٌ قويٌّ أفقـــد الدَّعوة إلى النَّصرانية كثيراً من معتنقيها أو المعجبين بها.

---

(١) إنجيل لوقا: ٢/ ٢٥.

(٢) راجع حواشي على المجلَّد الثَّالث من الكتاب المقدَّس من إنجيل القديس لوقا:٢/ ٢٥.

فالإله هو المتألَّة على قلوب عباده، قال أبو الهيثم: (ولا يكون إلهاً حتَّى يكون معبوداً، وحتَّى يكونَ لعابدِهِ خالقاً ورازقاً ومدبِّراً، وعليه مقتدراً، فمن لم يكن كذلك فليس بإلهٍ، وإن عُبد ظلماً بل هو مخلوقٌ ومتعبَّدٌ[1]. والمسيح عليه السلام ليس خالقاً ولا رازقاً ولا مدبِّراً لأحدٍ في شؤون الحياة الدُّنيا ولا الآخرة إنَّما هو بشرٌ مَّمن خلق الله، فضَّله الله على غيره بالنُّبوَّة والرِّسالة في قومه.

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥].

والمسيح عليه السلام بشهادة نصوصٍ كثيرةٍ من الأناجيل تعتريه حالاتٌ قويَّة من الضَّعف، ومن التَّعب، ومن اليأس، ومن الخوف، وقد كان يلجأ إلى الله في دعائه عند الملمَّات دائماً.

ولا أتردَّد في القول: إنَّ اعتبار المسيح ابن مريم إلهاً أو ابن الله إنَّما انبثق عن فكرٍ يهوديٍ متأثِّرٍ بالأساطير اليونانية والمجوسية. ولا دخل مطلقاً له في رسالة عيسى ابن مريم عليه السلام من ربِّه.

(١) راجع لسان العرب لابن منظور، مادة (أله).

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١].

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١].

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١-٩٢].

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وجاء في الإنجيل أنَّ المسيح عليه السلام تعرَّض بعد التَّعميد إلى تجربةٍ من إبليس اللَّعين استغرقت أربعين يوماً وليلةً، لم يذق خلالها طعاماً، ولا شراباً. وهذا أمر لم يذكره القرآن الكريم عن عيسى ابن مريم عليه السلام، ويبعد أن يكون أمراً له من الصِّدق نصيبٌ ؛لأنَّه أمرُ متكلَّف، وليس في مقدور الإنسان بوصفه بشراً أن يفعله، وعيسى ابن مريم إنسانٌ من البشر يأكل الطَّعام ويشرب الماء ويَكِلُّ ويتعب.

وعلى فرض صحَّة هــذه المقالة، فإنَّ فيهــا ما يدلِّل على عبودية المسيح، ويبطل القول بتعدُّد الآلهة أو تجزئتها.

يقول صاحب كتاب يســوع معلقاً على هذه الحادثة: (إنَّها لم تكن مجرَّد حادثٍ، بل كانت أزمةً شــديدةً في حياة يسوع) ويقول: عليه أن يشرع كإنسان في مصارعة وهزم قوَّات ملكوت الشَّــر) ويقول عن التجربة إنَّها: (وصــفٌ مجازيٌ فقط يصف صراعاً داخليّاً في النَّفس). ثمَّ يتســاءل قائلاً: (كيف يمكن أن يجرِّب الرَّب يســوع بأيَّة تجربة وهو بــلا خطيئةٍ)؟.. فيفترض عندئذٍ أنَّ تجربة المســيح لم تكن إلا (عراكاً ظاهريّاً فقط خِلواً من أيِّ صراعٍ حقيقيٍ أو خطرٍ فعلــي) ويقول: (ومع ذلك كلِّه فإنَّنا في توقيرنا للسَّيد المسيح نأبى كلَّ الإباء أن نظنَّ بأنَّه أحسّ ولو مجرَّد الإحساس بتجربة ما[1]).

معجزات المسيح عليه السلام:

المعجزة أمر خارقٌ للعادة، وفوق طاقة البشــر، يجريه الله جل وعلا على يدي أنبيائه ورســله بوصفــه برهاناً قاطعاً على صدق ما يدَّعونه عن رَّبهم. وهي مقرونة بالتَّحدِّي.

(١) راجع كتاب حياة يسوع تأليف بيترسون سميث، تعريب حبيب سعيد، ص ٥٥.

ولقد كان لكلِّ نبيٍ من الأنبيـــاء ما يلائم عصره وقومه من خوارق العادات وتذليل العقبات من أمورٍ حسِّية تخالف السُّنن الكونيـــة، وتخرج عن النَّواميس الطَّبيعيـــة، وتكون من قبيل ما استحكم في زمانهم، وغلب على خاصتهم، وعظم في نقوس عامتهم، ذلك لما جُبِلت عليه الأنفس البشرية من كثرة الجدل، كما جاء في قولـــه تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

ولَّما كان الإنســـان بطبيعته ميالاً إلى حبِّ الأشياء الَّتي يعرفها، وينشأ فيها ولها تأثيرٌ عليه وهو عدوٌّ لدودٌ لما يجهله، فإنَّه من الصَّعب جعلـــه يتحوَّل من لونٍ إلـــى لونٍ، ومن طريقة إلـــى أخرى، خاصة مايتعلَّق بالأمور العقدية الَّتي عقد قلبه عليها. ومن ذلك كانت مهمَّة الأنبياء والرُّســـل، ومن ثمَّ الدُّعاة جميعاً من أصعب وأشقِّ الأمور بالنِّسبة إلى القلَّة القليلة من البشر الَّذين تحمَّلوا ويتحمَّلون أعباءها، مع الكثرة الكاثرة من النَّاس وخاصةً العوام منهم.

فكان أن أمدَّ الله أنبياءه ورســـله بمعجـــزاتٍ أجراها على أيديهم يحسُّ بها كلُّ من شـــاهدها، وتكون مدعاةً لتصديقهم، وعوناً لهم على المضي في رسالتهم ولتقوم الحجَّة على النَّاس.

قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥].

ولقد ورد في كلِّ الأناجيل الرَّسمية للنَّصارى والقرآن الكريم ذِكْرٌ لتلك المعجزات الَّتي أجراها الله جلَّ وعلا على يد نبيِّه عيسى ابن مريم عليه السلام.

يقول (يوحنا) في إنجيله: إنَّ المسيح تمكَّن من تحويل الماء خمراً من دون أي إضافة عليه[1].

لم يرد مثل هذا القول في القرآن الكريم بلا شكٍّ. فالخمر أمُّ الخبائث، وقد قال الله تعالى واصفاً إيَّاها في كتابه العزيز: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

والمسيح ابن مريم عليه السلام رسول من الله ذو فطرةٍ سليمةٍ، وعقلٍ راجحٍ، فلا يتأتَّى منه صُنع الخمْر، ولا سقايتها، ولا إقرار تعاطيها كشريعةٍ جاء بها من الله، أو جاء بها غيره من الرُّسل

(١) إنجيل يوحنا: ٢/ ١-١٠.

الَّذين سبقوه، فالخمر كما يعرفها الإنسان تؤثر في عقله وتفقده جزءاً كبيراً من الاتزان وحسن التصرف. ولقد ظلم النَّصارى أنفسهم عندما اعتقدوا -بمكيدة من اليهود- أنَّ المسيح ابن مريم نبيَّهم قد أباحها لهم، وظلموا أنفسهم أكثر عندما اعتبروا الخمر عنصراً أساسيّاً في إحدى شعائرهم الدِّينية، وهي شعيرة العَشَاء الرَّباني أو القُربان الأقدس الذي يطلقون عليه (الأفخارستيا).

جاء في إنجيل (متى) قوله: (وفيما يأكلون أخذ يسوع خبزاً، وبارك وكسَّر وأعطى تلاميذه، وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي)[1]. ثمَّ أخذ كأساً فيها خمرٌ وأعطاهم إيَّاها قائلًا: (اشربوا من هذا كلُّكم ؛ لأنَّ هذا هو دمي للعهد الجديد الَّذي يهراق عن كثيرين لمغفرة الخطايا[2]).

فأيُّ رمزٍ هذا؟ وأيُّ عقيدة فاسدةٍ هذه؟!!

ونجد في إنجيل لوقا وصفاً ليحيى بن زكريا عليهما السَّلام أنَّه لا يشرب خمراً ولا مسكراً[3]. واعتُبرت هذه مزية له، وهو

(١) إنجيل متى: ٢٦/ ٢٦ وإنجيل لوقا: ٢٢/ ١٩ ورسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتس: ١١/ ٢٣.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) إنجيل لوقا: ١/ ١٥.

الَّذي جاء مبشِّـــراً بالمســـيح عليه السلام. فهل نقول: إنَّ شرب الخمر هو من شـــريعة المسيح ابن مريم دون ســـائر الأنبياء من قبله؟ الجواب: لا.

ولكـــن نقول: إنَّ تحريفاً عظيماً وقع لإنجيل عيســـى ومِنْ قَبلِهِ توراة موسى عليهما السَّلام، قام به اليهود تحقيقاً لرغباتهم الدُّنيوية، وإشباعاً لشهواتهم الحيوانية، وإفسادًا لشرائع الله.

قال الله تعالى عنهم: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦].

فهذه الآية، وإن كانـــت عن اليهود الَّذين عاصـــروا النَّبيَّ محمَّداً ﷺ إلا أنَّها تصف الطَّبيعة اليهودية في كلِّ عصرٍ ومكانٍ، وتفضح حقيقتهم.

وجـــاء في الإنجيـــل أنَّ المســـيح عليه السلام نَهرَ البَحْـــر، عندما اضطرب اضطراباً عظيماً، حتَّى غمرت الأمواج السَّفينة، بسبب الرِّياح، فحدث هدوءٌ عظيم[1].

(١) إنجيل متى: ٨/ ٢٣-٢٦.

وجاء في الإنجيل أيضاً أنَّ المسيح عليه السلام مشى على البحر، قال: (وعند الهجعة الرَّابعة من اللَّيل مضى إليهم ماشياً على البحر[1]). والمشي المقصود هو مشيه على قدميه على سطح الماء.

هذه الحوادث المعجزات وغيرها كإعادة السَّمع، وإعادة النُّطق، وإعادة العقل للمجنون، لم يرد لها ذكرٌ في القرآن الكريم. إنما المعجزات الَّتي ذكرها القرآن لعيسى ابن مريم عليه السلام هي معجزاتٌ حسِّية عظيمة.

أولاها: حمله عليه السلام في بطن أمِّه العذراء، فقد تمَّ من دون أيِّ اتِّصالٍ جنسيٍّ من بشرٍ لأمِّه، بل بنفخة من روح الله نفخها جبريل في جيبها. فكان هو في طريقة خلقِه، وأمُّهُ في طريقة حملِها به آية عظيمة للنَّاس أخبر الله عنها بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون:٥٠].

والنَّصارى لا يعبؤون كثيراً بموضوع حمل المسيح عليه السلام في بطن أمِّه؛ لأنَّه يعدّونه أمراً عاديّاً، ومريم بنظرهم قرينة ليوسف النَّجار، فلا مجال للقول عندهم: إن حملها للمسيح عليه السلام كان آيةً من الله، بحسب معتقدهم الباطل.

---

(١) إنجيل متى: ١٤/ ٢٥.

غيــر أنَّ قسِّيســيهم ورهبانهم عندما اجتمعــوا في مجمع (نيقية) تداركوا الموضــوع، فوضعوا في قانون الإيمان، الَّذي تمخَّص عن المؤتمر، العبارة الآتية:

(ولد بالــرُّوح القدس من مريم العذراء...) لأنَّهم في ذلك المجمع قالوا بألوهية المســيح، فتعاظموا القول: إنَّ (إلههم) مولودٌ عن رجلٍ من بينهم لاتكون له صفة الألوهية.

وكما يقول صاحب كتاب حياة يســوع: (ألوهية المســيح وميلاده من عذراء قد تمشَّيا معاً جنباً إلى جنبٍ، وجرى النَّاس إمَّا على قبولهما أو رفضهما معاً)[1].

ثانيها: كلامه عليه السلام، وهو صبيٌّ في المهد، وقد كان إيذاناً لقومه حينذاك لتتبُّع مراحل حياتــه، ولفت النَّظر إليه منذ طفولته، مع ماكان في ذلك الكلام من تبرئــة لوالدته ممَّا ألصَقَه بها اليهود من افتراءات شنيعة.

هذه المعجزة العظيمة لم تذكرها الأناجيل الأربعة الرَّسمية لدى النَّصارى اليوم، وذكرها القرآن الكريم في أكثر من موضعٍ

(١) راجع كتاب حياة يسوع تأليف بيترسون سميث، تعريب حبيب سعيد، ط٢، ص ٢٩.

منه، قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٢٧-٣٣].

وذكر هذه المعجزة العظيمة أيضاً إنجيل (الطُّفولة)، وهو من الأناجيل الَّتي لم يعترف بصحتها النَّصارى في مجمع (نيقية) وأطلقوا عليها اسم: الأناجيل المنحولة.

يقول إنجيل (الطُّفولة) على لسان المسيح، وهو يخاطب أمَّه حين ولادته: (أنا يسوع... الكلمة الَّذي ولَدْتِهِ... أرسلني الله لخلاص العالم[1]). وكما سبق، فإن اعترافهم بكلامه في المهد وقوله: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠] سيبطل دعواهم بألوهيته، وسينتشر عند العامة والخاصة؛ لكونه أمراً غير معتاد أن يتكلم الصبي في مهده. فلايستطيعون تحريفه أو تكذيبه.

(١) راجع كتاب القرآن والكتاب للأستاذ الحدَّاد، القسم الثَّاني، أطوار الدَّعوة القرآنية. ص ٤٦٥.

ثالثهـا: معجزة خلق الطَّير من الطِّيـن، والنَّفخ فيه، فيصبح طيـراً بإذن الله يطير بجناحيه يراه القاصي والدَّاني، ويتفكَّر فيه بوصفه معجزة كلُّ من شـاهدها أو سمع عنها، فمن أراد الله به خيراً، آمن برسالة عيسى ابن مريم واتَّبعه، ومن كان غير ذلك، فإنَّه أعرض عنها، وقاومها، ووصفها بأنَّها سحرٌ.

ورد ذكر هذه المعجزة في القـرآن في موضعين منه. قوله تعالـى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

ونلمس من الأناجيل الأربعة الرَّسـمية أنَّها لم تتطرَّق إلى ذكر شيء عن هذه المعجزة الباهرة الدَّامغة. إلا ما ذكرهُ صاحب كتاب (القرآن والكتاب) من أنَّ إنجيل (متى) المنحول قد ذكر هذه المعجزة في الفصل الثَّامن والعشرين منه[1].

(١) راجع كتاب القرآن والكتاب القسم الثَّاني، أطوار الدعوة القرآنية للأستاذ حدَّاد ص ٩٥٣.

رابعها: إبراء الأكمه والأبرص، والكَمَهُ والبَرَصُ من الادواء التي أعيت الطِّب والأطبَّاء إلى اليوم، استطاع المسيح عليه السلام في عصره أن يبرئهما بإذن الله، لتكون له آية على قومه الَّذين برعوا في الطِّب حينذاك، وحجَّةً عليهم.

وقد ورد في الإنجيل ذكر معجزة إبراء الأعمى[1]. ولم يرد ذكرٌ لإبرائه الأكمه، ومعروفٌ ما بين الأكْمَه والأعمى من فرقٍ. فالأكمَه من وُلِدَ ولا بَصَر له أصلاً، بينما الأعمى من فقد بَصَرَه بعد مَولِدِه في الغالب نتيجة مَرضٍ أصابه، فأَجهزة البَصَر لديه موجودةٌ، غير أنَّها مصابة بَعطلٍ طارئ أفقدها القدرة على العمل، وقد توصَّل الطِّب الحديث إلى محاولة علاج الأعمى بنقل قَرَنِيَّةٍ سليمةٍ من إنسانٍ سليمٍ مكان المصابة، أو بترقيعها.

ومن ذلك وغيره نرى أنَّ معجزات المسيح ابن مريم عليه السلام من خلال القرآن ذات دلالات قويَّة، واضحة ودامغة، لا تلتبس إلاَّ على من في قلبه مرض.

خامسها: إحياء الموتى بإذن الله، فهي معجزة فاقت كل المعجزات الَّتي جاء بها المسيح عن ربِّه؛ لكونهما صفة ملازمة

(١) إنجيل متى: ١٢/ ٢٢.

لله وحده لا يقدر عليها أحدٌ سواه. وما جريانها على يد مخلوق مـــن مخلوقاته إلا دليل صدق دعوى ذلك المخلوق فيما يقول عن ربِّه، وبرهانٌ ساطعٌ على مطلق مشيئة الله فيما يريد ويفعل، لا رادّ لما قضى، ولا مانع لمـــا أعطى، فهو وحده الَّذي يملك تلك القدرة وغيرها من القدرات الخاصَّة به عزَّ وجلَّ.

ولقـــد كان لمعجزة إحياء الموتى بـــإذن الله أبلغ الأثر في زعزعة النُّفوس الضَّعيفة والقلوب المريضة من يهود ونصارى، فذهبوا إلى الاعتقاد بألوهية المســـيح عليه السلام، فنجدهم قد أكثروا الحديث عن إحياء المسيح ابن مريم للموتى، وذهبوا مذاهب شتَّى في تخريجها في أناجيلهم[1]. ونسبوا فعله عليه السلام إلى قدراته الخاصة، وقوَّته الذَّاتية، لدرجة أنَّهم اعتقدوا في نهاية المطاف أنَّ هذه القدرة الفريدة قد ورَّثَها المســـيح عليه السلام لأحد تلاميذه. ففي أعمال الرُّسل ادَّعوا أنَّ (بطرس) أحيا فتاة كانت قد ماتت في مرضها[2].

ولقـــد ورد ذكر هذه المعجزة العظيمة فـــي القرآن الكريم ذكـــراً موجزاً وافياً لم يخض في التَّفســـيرات الَّتي لا طائل من

(١) إنجيل متى: ٩/ ١٨.
(٢) أعمال الرسل: ٩/ ٣٦.

تحتهـــا، وبيَّن تعالى أنَّ فعل المســـيح عليه السّـــلام كان بإذن الله ومشيئته، وما المســـيح إلا سببٌ أجرى الله على يديه هذه المعجزة وغيرها؛ ليصدِّقه قومه بما جاءهم به عن ربِّه.

سادسها: الإخبار بالمغيَّبات، فقد كان عليه السلام كما أخبر القرآن الكريم، يخبر قومه بما يأكلونه وبما يدَّخرونه في بيوتهم[1].

ونجـــد في الإنجيل ذكراً لهذه المعجزة في أكثر من موضعٍ منها، وركَّزت جميعها على إخباره بما سيقع له نفسه من صلبٍ وقتلٍ على يد اليهود، كما يزعمون[2].

ســـابعها: المائدة، وهي معجزة من معجزات المســـيح ابن مريم عليه السلام، لم يرد لها ذكرٌ في الأناجيل الأربعة الرَّسمية، وإنَّما الَّذي ذكرته الأناجيل هو تكثيره عليه السلام للطعام، جاء في الإنجيل: (أنَّ المسيح جعل من خمس أرغفة خبز وسمكتين طعاما يكفي خمسة آلاف رجل سوى النِّساء والصِّبيان، وأنَّهم رفعوا ما فَضُلَ من الكِسَرِ اثنتي عشرة قُفةً مملوءةً[3]).

---

(١) سورة آل عمران: / ٤٩.

(٢) إنجيل يوحنا: ١٣/ ١

(٣) إنجيل متى: ١٤/ ١٥-٢١، ١٥/ ٣٢، وإنجيل مرقس: ٦/ ٣٠.

ويزعم (يوحنا) في إنجيله إنَّ المسيح عليه السلام يقول عن نفسه: إنَّه (خبز الحياة مـــن يُقبِل إليه فلن يجوع، ومـــن يُؤمن به فلن يعطش أبداً[١]).

ويقول: إنَّه (الخبز الحي الَّذي نزل من السَّماء إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الَّذي سيعطيه هو جسده لحياة العال[٢]).

وجاء في أعمال الرُّســـل: أنَّ (بطـــرس) عندما كان يصلِّي جاع، وأراد أن يأكل، وعندما أراد أن يهيِّئ له طعاماً شعر بشيءٍ يجذبه، فرأى السَّماء مفتوحة، ووعاء هابطاً كأنَّه سماط عظيمٌ، معقود مـــن أطرافه الأربعة، ومدلى على الأرض، وكان فيه من كل ذات الأربع، ودبابات الأرض، وطيور السَّماء، وإذا بصوتٍ يقول: قم يا بطرس، اذبح وكلْ. فقال بطرس: حاشـــاي ياربِّ، فإنِّي لم آكل قط نجساً أو دنساً. فخاطبه الصوت ثانية: ما طهَّره الله لا تنجنســـه أنت. وحدث هذا ثلاث مرَّات، ثمَّ رفع الوعاء إلى السَّماء[٣]).

---

(١) إنجيل يوحنا: ٦/ ٣٢-٥٢.

(٢) إنجيل يوحنا: ٦/ ٣٢-٥٢.

(٣) أعمال الرُّسل: ١٠/ ٩-١٦.

هـذا من أوضَحِ ما جـاء في الأناجيل عن مسـألة الطَّعام وتكثيره، وقد رأى بعض المسـلمين أنَّها (هي مسـألة المائدة السَّماوية، ومعنى كونها سماوية أنَّ الله تعالى بارك في الطَّعام بطريقة غير معروفة ولا مألوفة)[1].

وهذا الرَّأي باطلٌ، لأنَّه يخالف صريح القرآن الكريم الَّذي أورد قصه المائدة على النَّحو الآتي:

قال الله تعالـى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٢-١١٥].

وقد ربط البعض بيـن ما جاء في إنجيـل (يوحنا) من أنَّ المسيح عليه السلام قد اعتبر نفسه هو الخبز الَّذي نزل من السَّماء وبين قصَّة المائـدة الَّتي جاء ذكرها في القـرآن الكريم، واعتبرهما مسـألة واحدةً، تُعرف في الإنجيل (بسـرِّ القُربـان) وتعرف

(١) راجع كتاب قصص الأنبياء لعبدالوهَّاب النَّجار، ط٢، الناشر مكتبة وهبه ص٤١٢.

بالقرآن بقصة المائدة (وادَّعى بأنَّ القرآن أورد الخبر بأسلوب قصَّة المائدة الهابطة في رؤيا على بطرس زعيم الحواريين)[1].

وهذا قول باطلٌ أيضاً؛ لمخالفته صريح القرآن الكريم، ولأن المائدة الَّتي طلبها الحواريون هي من الأمور الحسِّية الَّتي تشاهد بالعين المجرَّدة، وليست أمراً معنويّاً؛ وأنَّ ما جاء في أعمال الرُّسل إنَّما يتعلَّق ببطرس أحد التَّلاميذ، وليس بعيسى نفسه، وفي هذا وحده مايردُّ القول بالرَّبط بين القولين؛ لأنَّه أسقط من موضوع المناقشة أحد أركانه.

وخلاصة القول في ذلك هو أنَّ الأناجيل الرَّسمية لدى النَّصارى اليوم لم تتطرق إلى موضوع قصَّة المائدة، ولم تذكرها بوصفها معجزة من معجزات المسيح عليه السلام.

نهاية المسيح عليه السلام:

إنَّ هذه المرحلة الدَّقيقة من سيرة حياة المسيح عليه السلام تُعدّ من أكثر المراحل أهميةً في سيرته. ولقد كثر حولها الحديث عند المسلمين والنَّصارى على السَّواء.

(١) راجع كتاب القرآن والكتاب للأستاذ الحدَّاد القسم الثَّاني أطوار الدَّعوة القرآنية، ص ٩٤٨.